

«علم الاجتماع الغربي» مُساءلة ومُحاكمة» وبناء أسطورة الغرب

الكاتب: إيمانويل والرستين
النّاشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي
الصفحات: 81 صفحة



مراجعة: مريم رضا *

ثقافة علم الاجتماع قيد النّقد الدّاخلّي

يخضع المجتمع في تطوّره إلى حالاتٍ حركيّةٍ عدّة تكسر الجمود والهيكل القائمة، وتطرح رؤى جديدةً قد تشهد النّور بعد مسارٍ طويلٍ قد لا يحضره صاحب الطّرح نفسه. وتطوّر مفاهيم الديناميّة والتّغير والتّغيير والتّحوّل والتّقدّم صيرورةً تطوّريّةً في تاريخ المجتمعات ليس على الصّعيد العلميّ فحسب؛ وإنّما الفكريّ والإنسانيّ أيضًا بفروعه المختلفة، ومنها العلوم الإنسانيّة. تُقدّم هذه الورقة مراجعةً في كتاب «علم الاجتماع الغربيّ مُساءلة ومُحاكمة»، وهو عبارة عن نصّ خطاب عالم الاجتماع العالميّ، إيمانويل فالرستين

* دكتوراه في علم الاجتماع، الجامعة اللبنانيّة.

(Wallerstein¹)، الذي توجّه به إلى علماء الاجتماع من القارات الخمس، بمناسبة انعقاد المؤتمر الرابع عشر للجمعية العالمية لعلم الاجتماع، في مدينة مونتريال بكندا، صيف 1998م. ونُشر النّص ضمن الفصل الخامس عشر من كتاب فالرشتاين «نهاية العالم كما نعرفه» *The End of the World As We Know It*، تحت عنوان: «تراث علم الاجتماع ووعده العلوم الاجتماعية». ويتوزّع النّص على ثلاثة عناوين: التراث، والتّحديثات، والمُنطلقات النّظرية.

الكتاب قيد المراجعة يقع في ثمانين صفحة جاءت على ثلاثة أقسام: المُقدمة، ونصّ فالرشتاين، والمراجع. قدّم للكتاب أستاذ علم الاجتماع في جامعة تونس، محمود الذواودي، وهو مُترجم النّص نفسه. ويُعدّ الكتاب دليلاً على الحركة الفكرية المُتطوّرة في العلوم الإنسانية عبر نقد «ثقافة» علم الاجتماع؛ إذ يناقش فالرشتاين موضوع المعرفة الاجتماعية وتراثها وتحدياتها ومُنطلقاتها النّظرية، وينتقد تراث الفكر السوسيولوجي الغربي المُؤسس اليوم لعلم الاجتماع في الشرق والغرب؛ بل ويتعرّض حتّى لمساءلة سوسيولوجيا الرُّواد الغربيين المُؤسسين؛ دوركهايم، وماركس، وفيبير، عرين علم الاجتماع الكلاسيكي.

يُحاول صاحب النّص برهنة أنّ تراث علم الاجتماع هو ما يُسمّيه «ثقافة علم الاجتماع»، ويستدلّ على وجود تحديات كبيرة تواجهها عنوانها تجاهل هذه الثقافة، وعدم الاعتراف بها، وأنّ معالجة تلك التّحديات تكمن في خلق ثقافة جديدة مُفتحة ضمن عالم معرفيٍّ موحّد، ليس لعلم الاجتماع فقط، ولكن للعلوم الاجتماعية كلّها. وتجمّع عناصر أهميّة تلك المُراجعة في ثلاثة مستويات؛ مضمون الخطاب، والطّرح النّقدي، وصاحب النّص، وهو أحد أكبر المُفكرين

1- فالرشتاين من أشهر علماء الاجتماع العالميّين اليوم. شغل منصب مدير مركز فرنان برودال لدراسة الاقتصاد والأنساق التّاريخية والحضارات البشريّة في جامعة ولاية نيويورك بمدينة بنجهمتون، حيث نال لقب أستاذ شرف مُتميّز في علم الاجتماع. وهو الآن أستاذ علم الاجتماع بجامعة ياييل بشرق الولايات المُتحدة الأمريكيّة. انتخب رئيساً للجمعية العالمية لعلم الاجتماع مدّة أربع سنوات، انتهت في صيف 1998م. له مؤلّفات عديدة، مثل: «النّظام العالميّ الحديث» *The Modern System World*، و «ضرورة صياغة جديدة للعلوم الاجتماعية» *Unthinking Social Sciences* و«نهاية العالم كما نعرفه» *The End of the World as We Know It*، والنّص قيد المراجعة هو أحد خطابات الكتاب الأخير، الفصل الخامس عشر منه، التي ألقاها في عقد التسعينيات على جموع غفيرة من الأكاديميين حول العالم.

السوسيولوجيين الغربيين مع نهاية القرن الماضي، ليس في الولايات المتحدة فحسب؛ وإنما في العالم بأسره.

ثقافة علم الاجتماع .. مُسَلِّمات ومُشكلات

يرى فالرشتاين أن تراث علم الاجتماع هو «ثقافة علم الاجتماع»؛ ويعني بها مجموعة من المُقدِّمات المنطقيَّة، أو الفرضيات والممارسات المشتركة بين علماء الاجتماع التي ليست محلَّ نقاش، أو خلاف؛ تُشكِّل في مجموعها حدًّا أدنى من أرضية مُتناسقة لدراسة الواقع الاجتماعيِّ. وهي تقوم على ثلاث مُسَلِّمات بسيطة، أو مجموعة من البدهيَّات، كانت في أوجِّها في المرحلة 1945م - 1970م، وهي:

1. واقعية الحقائق الاجتماعيَّة.
 2. دوام الصِّراع الاجتماعيِّ.
 3. وجود آليات إضفاء الشرعيَّة لاحتواء الصِّراع، المُستمدَّة كلِّ واحدة منها من أحد المُفكرين المؤسِّسين الثلاثة بالترتيب، «دوركهايم» و«ماركس» و«فيبر»؛ ما يجعل أولئك يُمثِّلون «علم الاجتماع الكلاسيكيِّ».
- يُعدُّ فالرشتاين تلك المُسَلِّمات جوهر تراث علم الاجتماع، لكنَّه تراث حديث التكوين، وهو وإن كان فيه نقاط قوَّة، فإنَّه لا يخلو من الهشاشة في الوقت نفسه. وتكمن تلك الهشاشة في نقطتين أساسيتين:

الأولى: التخصُّص المعرفيِّ، وتحديد المُفكرين المؤسِّسين:

لقد فقد علم الاجتماع وبقية العلوم الاجتماعيَّة سمة التخصُّص المعرفيِّ على الرِّغم من قُوَّتها من الناحيتين: التنظيميَّة، والمؤسَّساتيَّة، وقوَّة النَّزعة نحو إضفاء المؤسَّساتيَّة على أسماء فروع العلوم الاجتماعيَّة، وبقاء أسماء التخصُّصات في الأقسام والشَّهادات الجامعيَّة والبرامج التعليميَّة، واستبعاد إلغائها مع دعم فكرة «التكامل بين التخصُّصات» *interdisciplinarity* بقوَّة القائمة الحاليَّة للتخصُّصات. لقد تقوَّضت الانقسامات التي أرسدت الحُدود في موضوعات الدِّراسة في مرحلة ظُهور التخصُّص في القرن التاسع عشر، وتطوَّرت الأقسام المُتعدِّدة للعلوم الاجتماعيَّة في النِّصف الأوَّل من القرن العشرين، وصارت ضبابيَّة وغامضة مع حلول العام 1970م، بما شكَّك في حُدود الحُقُول المختلفة للدِّراسة، وتاليًا بالتخصُّصات المعرفيَّة. ويعود ذلك إلى التَّغييرات في النِّظام العالميِّ بعد العام

1945م، من قبيل صُعود الولايات المُتحدة إلى الهَيْمَنَةِ العالَمِيَّة، والانبعث السِّيَاسِي للعالم غير الغَرْبِي، وتوسُّع اقتصاد العالم الذي صاحبه توسُّع في النُّظَامِ الجَامِعِيِّ العَالَمِيِّ.

الثانية: التَّشْكِكُ بمصدر مشروعِيَّةِ مُؤَسَّسِي علم الاجتماع:

أمَّا المشكلة الأخرى فهي تحمل الكثير من التَّحْدِي، وهي التَّشْكِكُ بمصدر مشروعِيَّةِ قائمة مؤسَّسِي علم الاجتماع التي تُختزل بدوركهايم، وفيبر، وماركس. ويُعلَّل فالرشتاين التَّشْكِك، ويطرُح تساؤلات إشكاليَّة عدَّة عن مكانة كلِّ منهم، ويستغربُ كَيْفِيَّةَ التَّوْفِيقِ ما بين القبول بأسماء تلك اللَّائِحَةِ التَّأْسِيسِيَّة، وعدم وجود علماء اجتماع دوركهايميِّين، وفيبريِّين، وماركسيِّين، في الوقت ذاته. وقد توَّصَّل استطلاع حديث إلى أنَّ الكتب الجامعيَّة قبل العام 1945م أشارت إلى أولئك المؤلِّفين الثلاثة، فقط ضمن قائمة طويلة اشتملت على أسماء آخرين. وهو ما يتوافق مع طرح فالرشتاين الذي يرى أنَّ قائمة المؤسَّسين هي التي تعرَّف الثَّقَافَةُ، وقد بلغت أوجها ما بين 1945م و1970م وهي مرحلة خاصَّة جدًّا، هَيْمَنَ فيها علماء الاجتماع الأمريكيُّون، وحينها كان المنظور البنيوي-الوظيفي في الطَّلِعة، والمفضل بين علماء الاجتماع دون منازع.

تحديات ثقافة علم الاجتماع

يدعم والرشتاين مقولاته بتشريح المُقَدِّمات المنطقيَّة، أو المُسلِّمات الثلاث التي يُسمِّيها «ثقافة علم الاجتماع»، وتحديد ستَّة تحديات بدأت تُؤثِّر في ميدان علم الاجتماع، وبشكل أعم، في العُلُوم الاجتماعية، وتُشير برأيه أسئلة خطيرة حولها. وفي حين يؤكد أنَّ التَّحْدِيَّات ليست حقائق إلاَّ أنَّ التَّسليم بأهميَّتها يحتملُ معه اضطرار العلماء إلى إعادة فحص مُقَدِّمات العلوم؛ بما قد يحتاج معه إلى القيام بصياغة جديدة للمُقَدِّمات، أو حتَّى التَّخْلِي عنها، أو على الأقل القيام بمراجعة جذريَّة لها. وتلك التَّحْدِيَّات هي:

- التَّحْدِيَّ الأوَّل، هو تحدي سيغموند فرويد من باب علم الاجتماع الفرويديِّ الضَّمْنِيِّ لمفهوم العقلانيَّة ذاتها، المُتَبَنَّى من مؤسَّسِي علم الاجتماع الكلاسيكي¹. وما قام به فرويد بتحديِّه، وربَّما هدمه في الواقع وفقًا لصاحب

1- يقول فالرشتاين في ذلك: «نعت دوركهايم نفسه بالعقلانيَّة، أمَّا فيبر فقد جعل من ←

النَّص، هو فائدة مفهوم العقلانيَّة الرسميَّة¹؛ ما يدفع إلى النَّظَرِ بِجِدِّيَّةٍ أَكْثَرَ إلى مفهوم العقلانيَّة الجوهريَّة بما تعنيه من محاولة للتَّوَصُّلِ إلى تَفَاهُهم مع الذَّاتِيَّة المُتَعَدِّرِ اختزالها.

- التَّحْدِي الثَّانِي، هو تَحْدِي المَرَكِزِيَّة الأوروپِيَّة Eurocentrism، مع أنور عبد الملك الذي سبق نقده «الاستشراق» (1963م) نَقَدَ إدوار سعيد بأكثر من عقد، وكَرَّسَ حياته لطرح ما سَمَّاه بـ«المشروع الحضاريّ البديل». وخلص عبد الملك إلى وُجُودِ رُؤْيَيْتَيْنِ لِلزَّمَنِ قوامها «تفاعل جدليّ مُتناقض استهلاكيّ ولكن غير عدائيّ»، بعيداً عن رؤية دوركهايم وماركس وفيرر، تنتهي إلى خُصُوصِيَّاتٍ غير قابلة للاختزال؛ بل للتَّنظِيرِ حولها. كما تنتهي إلى تحدِّ حضاريّ عن طبيعة الزَّمَنِ التي لم تكن تُشكِّلُ قِضِيَّةً لِلتَّقَافَةِ الكلاسيكيَّة لعلم الاجتماع.

- التَّحْدِي الثَّلَاث، ويتعلَّقُ بِالْبِنَاءِ الاجْتِمَاعِيّ لِلزَّمَنِ، ووجود واقع مُتَعَدِّدٍ له، وعدم محدودية العمليَّات الاجتماعية زمنيًّا. ويتحدَّى بذلك مقولة أغليبيَّة المُتَخَصِّصِينَ في العلوم الاجتماعية الذين أدركوا نوعين منه: «الزَّمَنِ المشهديّ» بتفسيره التَّعاقبيّ و«الزَّمَنِ الأبدِيّ». يتمثَّلُ الاعتراضُ الأساسيُّ على هذين المفهومين بأنَّ كليهما لا ينظرُ بِجِدِّيَّةٍ إلى الزمن. ويرى فالرشتاين أنَّ علم الاجتماع التَّاريخيَّ عَبرَ في العام 1970م عن استجابة، جزئيَّةٍ على الأقلِّ، لهذا التَّحْدِي، لكن سرعان ما تَمَّ امتصاصه وعَدَّه تَخْصُّصًا داخل علم الاجتماع.

- التَّحْدِي الرَّابِعُ جاء من خارج العلوم الاجتماعية من علم الحركة بصياغةٍ جديدةٍ قلبت العلاقة بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعيَّة رأسًا على عقب عبر التَّوْحِيدِ بينهما من جديد، ليس على أساس افتراض القرن التَّاسِعِ عشر القائل بأنَّه يمكن النَّظَرِ إلى النُّشاط الإنسانيِّ بوصفه مجرد فرع للأشْطَةِ

← الشَّرعيَّة العقلانيَّة القانونيَّة ركيزة تحليله للسلطة؛ بينما سخر ماركس نفسه لما سَمَّاه بالاشتراكيَّة العلميَّة (أي العقلانيَّة)».

1- العقلانيَّة الرسميَّة تُعرَفُ بأنَّها استعمال أنجع الوسائل لبُلُوغِ الغاية، ولكن ليس من السَّهل تعريف الغايات. والعقلانيَّة الرِّسْمِيَّة هي دائماً عقلانيَّة رسميَّة لشخصٍ ما، فكيف يمكن عندئذ الإقرار بوجود عقلانيَّة رسميَّة عالميَّة كونيَّة؟

المادّية الأخرى، لكن على أساس مقلوب، يرى أنّ الأنشطة المادّية يمكن النّظر إليها بوصفها عملية إبداع وابتكار. وتطرح موضوع العقلانيّة من باب المُناداة «بالرّجوع إلى الواقعيّة» التي هي بطبيعة الحال ليست «عودة إلى الحتميّة».

- التّحدّي الخامس طرحته منظرات الحركة النسويّة اللواتي هاجمنّ به مُصدقيّة ادّعاء الموضوعيّة في أقدس مُقدّساتها، وهو ادّعاء رئيس الثقافة الكلاسيكيّة لعلم الاجتماع. فقد أكّد وجود تحييز ذكوريّ معرفيّ ليس في مجال المعرفة الاجتماعيّة فقط، ولكن في ميدان معرفة العالم الطّبيعيّ، بالاستناد إلى افتراضات مُسبقة حول الفروق بين الجنسين (الجنوسة) لا تستند إلى بحوث واقعيّة، مع تجاهل عالم المعرفة موقف النّساء.
- التّحدّي السّادس هو الأكثر باعثاً على الدهشة، لكنّه، في الوقت نفسه، أقلّ التّحدّيات التي دار حولها النّقاش. يُسقط فالرشتاين مقولة الدخول في عهد الحداثة، ويدعو إلى عدم الاستمرار «في الطّيران المُتهوّر لما بعد الحداثيّين؛ إذ كيف يكون الدّخول في زمن لم يأت بعد»! فالحداثة «لم يكن لها في الواقع وجود أبداً، والمفهوم خاطئ كلّهُ». وينفي فالرشتاين وجود ثقافات وحدها، أو طبيعات وحدها، والطّبيعة والمجتمع قطب واحد، ونتاج حالات مُتتالية للمجتمعات - الطّبيعات؛ أي أنّهما حصيلة للمؤثرات الجماعيّة.

المُنطلقات النّظريّة

يتوصّل فالرشتاين من تحليل ثقافة علم الاجتماع والتّحدّيات التي تواجهها إلى مُنطلقات عدّة:

- أولاً: ضرورة محاربة التّخصّص المُتطرّف في علم الاجتماع وكلّ العلوم الاجتماعيّة الأخرى، وخلق درجة من التّوازن المعقول بين عمق المعرفة وسعتها، وبين الرّؤيتين: التّجزئيّة، والتّوليفيّة.
- ثانياً: يجب أن تشمل التّصنيفات والتّفسيرات للفاعلين، الذين خلقوا الواقع الاجتماعيّ، التّفاعل المستمرّ بين التّوقّعات المؤسّساتيّة والتّصورات والتّأويلات والتّأثيرات والتّشويهاات والسُّلوك.
- ثالثاً: ضرورة صياغة التّساؤلات في ضوء حالة عدم اليقين، فاليقينيّات

مؤقتة زمنيًا ومحدودة إمكانيًا بوصفها فرصة نادرةً للخيالِ والخَلْقِ والبَحْثِ، والنَّظَرِ إلى التَّعَدُّدِيَّةِ بوصفها ميدانًا رحبًا ومليًا بالإمكانات لتجنُّبِ وسمِ كلِّ الأعمالِ باللائقين واللاقيمة والخداع، نتيجة تحديد معرفة العالم من خلال الرؤية البشريَّة المقيدة بنظرة خاصَّة.

- **رابعاً:** يُعدُّ المُنْتَطَلِقُ الرَّابِعُ أكثرَ المُنْتَطَلِقَاتِ النَّظَرِيَّةِ جَذْبًا وأهميَّةً، ويَتِمَثَّلُ في محاولة التَّغَلُّبِ على الحرب بين ثقافتَي: الفلسفة، والعلم بعدما تمَّ الطَّلَاقُ بينهما في آخر القرن الثَّامن عشر، ومحاولة إعادة توحيدهما في ميدان واحد، على الرَّغْمِ من الصُّعُوبَاتِ الجَمَّةِ في طريق تحقيق ذلك. إنَّ علماء الاجتماع لم يعدوا بمقدورهم - على حدِّ تعبير فالرشتاين - «التَّظَاهِرُ بأنَّ العلماء يستطيعون أن يكونوا محايدين: أي معزولين عن واقعهم الاجتماعيِّ»، أو مُتَحَالِفِينَ إمَّا مع علماء الطَّبيعة، وإمَّا مع علماء الإنسانيَّات. كما يستعرض إحدى المشاكل المُتعلِّقة بخلق العلم مساحات للجهل، وتحديدًا في ما يخصُّ الجهالات الجديدة التي يكتشفها علماء الاجتماع، وهي أنَّه لا يوجد سبب معقول يجعلنا نفترض أنَّه بالإمكان التَّعَامُلُ مع تلك الجهالات بشكل أفضل، سواء داخل الميدان الضيق الذي اكتشفت فيه تلك الجهالات، أو بوساطتها.

واليوم، لا يمكن الدَّفَاعُ مُطْلَقًا عن الانقسامات الثلاثة الكبرى للعلوم الاجتماعيَّة في القرن التَّاسِعَ عشر: الماضي/الحاضر، والمتحضَّرين/الآخرين، والدولة/السُّوق/المجتمع المدني، بوصفها معالم فكريَّة. فهي تصريحات تعزلُ ميادين علم الاجتماع، أو علم الاقتصاد، أو علم السِّيَاسة عن بُعدها التَّاريخيِّ، وتعيق التَّفكير: إذ لا يمكن الفصل بين تلك النماذج الثلاثة للتعبير عن مصالح النَّاسِ، وتفضيلاتهم، وهويَّاتهم، وإراداتهم.

يدرك فالرشتاين صعوبة التَّغيير والتَّحوُّلِ في مقابل مدى مقاومة التَّنْظِيمَاتِ وقادتها؛ والنَّظَرُ إلى أيِّ محاولة على ذلك الصَّعيد على أنَّها غير واقعيَّة، والعمليَّات العفويَّة داخل كلِّ من التَّنْظِيمَاتِ التي تعمل على إزالة الحدود دون تدخُّلِ لأيِّ عمليَّة إصلاح مقصودة. ومع افتقار النماذج الحاليَّة القائمة على تقسيم العلوم الاجتماعيَّة إلى المعنى، وتكاثر التَّخصُّصات، وغياب العقلائيَّة؛ بسبب تدخُّلِ التَّخصُّصاتِ المعرفيَّة خاصَّة في ظلِّ الصُّغُوطِ العالميَّة لتقليصِ نفقات التَّعليمِ العاليي بدلاً من

زيادتها، تبرز الحاجة مُلحة لعملية استكشاف نوع الهيكلية التنظيمية التي هي أفضل عملاً من غيرها.

لَمَّا كان فالرشتاين يفتقدُ الرأْي الثَّابِت في أي الأبعاد التَّقْسِيميَّة من النُّظْم الكليَّة macro والنُّظْم الجزئية micro، أو الأبعاد الرِّمَنيَّة هي الإطار الأصلح لتنظيم المجموعات المختلفة، ويجهل «ما نوع إعادة التنظيم البنيوي الجديد القادم»، فإنَّه يقترحُ تجربتها كُلِّها، علماً أنَّه يشكك في «أننا سوف نشهد أي احتفال بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس أي من جمعيات العلوم الاجتماعية العالمية الحالية، على الأقلّ إذا بقيت بالاسم نفسه».

مَمَّا يُوصي به فالرشتاين الانفتاح والاعتراف بنقائص الرُّؤْي، والتَّوسُّع في القراءات أكثر بكثير ممَّا هو عليه الوضع الحالي، وتشجيع الطُّلبة بقوة على هذا الأمر، وقبول طلبة الدِّراسات العُليا بطريقة تجعل اختياراتهم أكثر تنوعاً، والمساهمة في تحديد مواطن الضَّعف لديهم لمساعدتهم في التَّطوير، ووزن كل العوامل بعناية، وفي جميع الميادين من خلال تحدُّث أصحاب المعرفة مع بعض من منطلق المُساواة، حيث لا يوجد أحد، أو مجموعة تملك المعرفة الصُّرورية لاتِّخاذ قرارات عقلانيَّة جوهريَّة دون الأخذ في الحسبان معرفة الآخرين خارج ميادين اهتمامهم. والنُّقطة الأهم التي يدعو إليها فالرشتاين هي تحقيق العقلانيَّة الجوهريَّة بالانطلاق من نُقطة إدراك عدم وجود عقلانيَّة وظيفيَّة وعائق التَّقيد بالمنهجية.

الخلاصة

يُقدِّم نصّ فالرشتاين نقداً جريئاً ولاذعاً لثقافة علم الاجتماع التي تحتاج إلى تحوُّل نوعيٍّ إذا أرادت التَّطوُّر، والتَّخلُّص من الهشاشة التي تشوبها على الرِّغم من حداثة وقوتها في الوقت ذاته. ويطرحُ مشكلةً معرفيَّةً في غاية الأهميَّة قوامها التَّخلُّص من القيود المعرفيَّة، والخروج من مُسلِّمات ماضٍ مشكوكٍ في نتائجه أساساً، وفقاً لطرحة.

يطالُ نقد فالرشتاين جوهر ثقافة علم الاجتماع ومُسلِّماته، ويحاول الدَّفْع باتِّجاه إعادة النَّظَر في رؤْي ومفاهيم مركزيَّة فيها تطالها أسئلة إشكاليَّة تُشكِّل مجموعة من التَّحدِّيات المُترابطة والمُتسلسلة؛ غير القابلة للتَّجاهل. منها العقلانيَّة الرِّسميَّة، واحتمال وجود تحدِّ حضاريٍّ للرُّؤية الغربيَّة، والموضوعيَّة، والحدائثة، وواقعيَّة الأزمنة

الاجتماعية المُتعدّدة. وقد وصل حدّ الانتقاد إلى درجة طرح احتمال الحاجة إلى بناءٍ جديدٍ للتّظهير القائم والمناهج بوصفها بديلاً لثقافة علم الاجتماع في حال عجز البَدَهِيَّاتِ الثّلاثِ المأخوذة من دوركهايم، وماركس، وفير؛ من تقديم إجابات عن التّحدّيات المطروحة، وتالياً تعرّض ثقافة علم الاجتماع للانهار.

يدعو فالرشتاين إلى حركة تصحيح - يدرك تماماً مدى العراقيل الكبيرة والكثيرة أمامها- عبر التّسلّح بإحدى أعظم إسهامات العلم وهي إمكانية تحدي أي شخص صدق مقولات الحقيقة الموجودة، بشرط أن يُقدّم أدلةً علميةً ميدانيةً. وتبدأ الحركة من إعادة التّفكير في المُقدّمات الأساسية وقوامها وحدة العلوم وتوحيد إستمولوجيا ثقافتِي: الفلسفة والطّبيعيّات في مواجهة بنى التّخصّصات التي أحدثت وتحدث قطيعةً بين العلوم الطّبيعيّة، والعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، وما خلقته تلك البنى الأكاديميّة من عقليّة عدم التّواصل أو ضعفه، والجفاء والقطيعة بين الباحثين والعلماء المنتمين إلى إحدى هاتين الثّقافتين.

يظهر فالرشتاين في نهاية نصّه نزعةً فلسفيّةً جديرةً بالاطّلاع عندما يحاول سبر أغوار معنى كبرياء البشر، ويربطها بقصّة الخلق، ويعترف بالعجز عن الوصول إلى الحقيقة الأبدية باستعمال العقل الإنسانيّ. من هنا، ينطلق من الاعتراف بشوائب الكون من لا يقين وظلم ونقص؛ ليفتح آفاقاً للتّغيير، وبناء العالم الأقلّ ظلماً والأكثر جمالاً بالاستفادة من إمكانية اكتساب المعرفة، وزيادتها بشرط «أن نُفكر مع بعضنا بعضاً، وأن نسعى إلى الحصول على المعرفة المُتخصّصة من بعضنا بعضاً».

تعليقاً على طرح فالرشتاين، يجد محمود الذوادي، مترجم النصّ، توحيد إستمولوجيا علوم الطبيعة والعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة محلّ ترحيب لما لها من أرضيّة في صلب الثقافة العربيّة الإسلاميّة استناداً إلى ركيزتين شرعيتين: الأولى؛ هي استباقية الثقافة العربيّة الإسلاميّة على المستويين: الفكريّ، والتّطبيقيّ إلى تبني الرؤية الإستمولوجيّة التّوحيدية للمعارف والعلوم. والأخرى؛ هي مناداة الثقافة العربيّة الإسلاميّة بوحدة إستمولوجيا العلوم البشريّة ومعارفها؛ ما يُشكّل العامل الأساس في بناء نهضةٍ حقيقيّةٍ ونوعيّةٍ في مشروعيّة توطين علم الاجتماع العربيّ في ثقافة علم الاجتماع مُستقبلياً.

بناءً عليه، يفتح النصّ آفاقاً واسعة لعلماء الاجتماع العرب الذين يتبنون نظريات

علم الاجتماع الغربي ومناهجه خارج منطق الشكّ والمُساءلة لضرورة مراجعة تلك المُسلّمات والبُدَهيّات، وإعادة التّفكير في التّسليم بعلم الاجتماع الغربيّ المُعاصر سواءً على المستوى الإِبستمولوجيّ، أو على مستوى فِكر الرُّواد الأوائل. ومن ثمّ، الانطلاق من حركة فالرشتاين التّجديديّة والتّصحيحيّة على هذين المستويين للسّير قُدماً في بلورة علم اجتماع ينبع من صمّم تحديات الواقع العربيّ ورهاناته.